

تفسير ابن كثير

وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

وقوله : (ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو) أي : لا تليق العبادة إلا له ولا تنبغي الإلهية إلا لعظمته . وقوله : (كل شيء هالك إلا وجهه) : إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم ، الذي تموت الخلائق ولا يموت ، كما قال تعالى : (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) [الرحمن : 26 ، 27] ، فعبر بالوجه عن الذات ، وهكذا قوله هاهنا : (كل شيء هالك إلا وجهه) أي : إلا إياه . وقد ثبت في الصحيح ، من طريق أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أصدق كلمة قالها شاعر [كلمة] لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل وقال مجاهد والثوري في قوله : (كل شيء هالك إلا وجهه) أي : إلا ما أريد به وجهه ، وحكاه البخاري في صحيحه كالمقرر له . قال ابن جرير : ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر : أستغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد ، إليه الوجه والعمل وهذا القول لا ينافي القول الأول ، فإن

هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد بها وجه الله عز وجل من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة . والقول الأول مقتضاه أن كل الذوات فانية وهالكة وزائلة إلا ذاته تعالى ، فإنه الأول الآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء . قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب " التفكير والاعتبار " : حدثنا أحمد بن محمد بن أبي بكر ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا عمر بن سليم الباهلي ، حدثنا أبو الوليد قال : كان ابن عمر إذا أراد أن يتعاهد قلبه ، يأتي الخربة فيقف على بابها ، فينادي بصوت حزين فيقول : أين أهلك ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول : (كل شيء هالك إلا وجهه) . وقوله : (له الحكم) أي : الملك والتصرف ، ولا معقب لحكمه ، (وإليه ترجعون) أي : يوم معادكم ، فيجزىكم بأعمالكم ، إن كان خيرا فخير ، وإن شرا فشر . [والله أعلم . آخر تفسير سورة " القصص "]